

ابن حزم: الإسباني أو الناري وتشييعه لبني أمية

الناصر الكتاني
الأستاذ بكلية الآداب
ودار الحديث السنوي

لسلفه نبأه فابوه أحمد على الحقيقة هو الذي بنى بيت نفسه ، ولم يشذ أحد من الذين أرخوه فيما علمنا عن رفع عمود نسبة إلى يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان ، واجمعوا كلهم على أنه على بن أحمد بن سعيد ابن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان ابن سفيان بن يزيد الفارسي .

وأجمع كل من أرخه من ذكر عمود نسبة على أن جده الأقصى في الإسلام يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان ، فإذا أضفنا إلى ذلك ما نص عليه مؤرخوه القدامي والمحدثون من أنه ينتهي إلى بيت رفيع من موالي بنسى أمية متزوج بالجاه العريض والحسب الكريم والنفسي والثروة والكلمة النافذة وقفنا جامدين أمام نص أبي مروان حيان بن خلف حيارى لا نعرف الذي يرمى إليه من وزره الخط على أسرة ابن حزم وأنه خامل الآية ومن العجم وجده الأدنى وهو سعيد أول المسلمين من آبائه وأجدره بنا أن نسمى هذا سبباً وشبيهه من أن نظنه تارياً لعلم من الأعلام .

ولقد ذهب الاستاذ الكبير محمد ابو زهرة إلى امكان أن يكون ذلك تشنيعاً بأبي محمد ابن حزم من الفقهاء الذين ناضلهم واشتد في مجادلتهم .

وهذا جائز ، ولكن من أين أتي به ابن حيان ولم يتقدمه أحد به فيما علمناه ، يكون ابن حيان غير ثقة فيما ينقل أم يكون خصماً من خصوم ابن حزم والمعاصرة حجاب كما يقول علماً ، النفس من الصوفية .

كان أول معرفتنا ابن حزم وانا فتى حديث السن لم اتجاوز الخامس عشرة من عمرى ، زارنا منزلنا بفاس صديق قديم فناولنى الجزء الأول من المجل و قال : هذا أحدث كتاب طبعته مصر لرجل من الصدر الاول فقراته حتى آخره ومنذ ذلك الحين وانا أحب ابن حزم وأتابع آثاره وألبيج بذكره واسعى إلى تحصيل معارفه وما استطاع من كتبه ، وشغفت بتتبع أخباره وترجمة حياته وما أعرف كتاباً فيه لابن حزم ذكر ليس عندي الا جهدت أن أحصل أو أن أطلع عليه حتى تصورت ابن حزم علاقاً في رجال الفكر والبحث أساها في المناولة والكفاح لا يمثل ولا يعيأ أمام خصومه معيناً دفاعاً من العحجج والبراهين والادلة وايرادها ، سيلاً جارفاً يبتلع معارضيه فيطويهم ويحيطهم بآخرين ينذلهم الميدان .

وتلقت العلماء منذ ألف سنة إلى هذا السبيل الداهم يتواصفونه من أين أقبل ، قال قائلون أنه من فارس ، وإن مصبه الأول يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان أمير الشام وأخو الملك معاوية .

نسب ابن حزم

قال (I) حيان بن خلف أبو مروان القرطبي : « وكان من غرائبه انتماهه في فارس واتباع أهل بيته له في ذلك بعد حقبة من الدهر تولى فيها أبوه أحمد بن سعيد بنسى أمية ، لا عن صحة ولاية لهم عليه ، فقد عيده الناس خامل الآية ، مولد الأزومه من عجم لبلة » جده الأدنى حديث عبد بالاسلام !! لم يتقدم

وكان اسمه في وقت غزو النور مانديين اى سنة 229
وصاحب الله ابن حزم .

والى هذا ذهب المستشرق غريغوري غومس الاسپاني
فقال (5) عن ابن حزم انه كان اسبانيا خالصا ،
وزرات الحكومة الاسپانية أخيرا ان في نسبة ابن حزم
الى جنسها الاسپاني شرفا كبيرا لقومها فاتامت له
نصبا فتق أحد ميادين قرطبة بمناسبة مرور نحو الف
سنة على وفاته تحيية للذكراء وتعلقا بهذا النسب الذي
أضفى على أسرة ابن حزم .

وسوا، كان ابن حزم اسپاني الاصل او فارسيه
فان شيئا من هذا لا يجيز للمؤرخ اختراع احداث
التاريخ ، فما من أحد من العلماء العرب ذكر عن حزم
أنه اول اجداده اسلاما فيما نعلم بل القولة الوحيدة التي
يعدها الباحث عند احد من المؤرخين هي ما زعمه
ابو مروان حيان بن خلف من أن جده الادنى اي سعيد
اول اجداده دخلوا للإسلام مع العلم أن كلام من ابي مروان
وابن حزم ينتسبان الى ولا . بني أمية .

وإذا ذهبتنا نبحث في جدية الاستدلال عن اسم حزم وانه في الاندلس أكثر شيوعا منه في المشرق وان حاكم لشبوة كان اسمه في وقت غزو السور مانديين وهم الله ابن حزم لم نجد فيه من العلم ما يكفلنا الاستدلال على تفضيه وخاصة ان في الصحابة والتابعين وتابعيمهم من كانت أسماؤهم وأسماء آياتهم واجدادهم حزما ونذكر على سبيل التذكرة حزم بن عبد عمرو الشخصي ، وحزم بن عمرو الواقعى ، وحزم بن ابي كعب الانصاري ، وعمرو بن حزم الخزرجي الانصارى استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل نجران .

ومن التابعين أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري عامل عمر بن عبد العزيز على المدينة وحزم بن أبي حزم شيخ الحسن الصرى وتوفى سنة 175 هـ ، ومن تبع من أساؤهم حزم في المشرق من العرب الخلص وجد من لا يكاد يخصيه عدا فلا حاجة بنا إلى الاستثناء من اسمه حزم ، وشيوخه اسم حزم في الاتدلس أو في المشرق لا تقييد كثرتها أو قلتها نسباً أو تنفيه عن صاحبه فالاستدلال بمثل هذا في مثل هذا الموطن لا تحسنه جداً يستغل به أهل العلم .

ولكن أبا عبد الله محمد بن فتح الحميدي يصفه
في الجندة (2) بالصدق بل ينوه به أبو محمد ابن
حرزم ويثنى عليه .

هذه واحدة

اما انتقامه الى فارس وامكان الطعن في هذا الانتماء، فما علمنا سببا يدفع ابن حزم الى التكثير بهذا الانتفاء وهو الذي يذهب الى «أن زوج (3) المصبية الفارسية هي مصدر المذاهب الضالة كلها في الاسلام وان الفرس لما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على ايدي العرب وكان العرب أقل الامم خطرًا عند الفرس تعاظمهم الامر وفضحتت لديهم المصيبة وزاموا كيد الاسلام بالمحاربة له في اوقات شتى ، ففي كل ذلك يظهر الله سبحانه وتعالى الحق وكان من قادتهم سنباد واستاذيس والقعن الكندي وبابك الخرمي وغيرهم وقبل هؤلا رام ذلك عمار الملقب بخداش وأبو مسلم السراج فرأوا أن كيده على العيلة انبع فظهور قوم منهم الاسلام واستعمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيته رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشنانع ظلم على رضي الله عنه ثم سلکوا بهم مسالك شتى حتى اخر جوهر عن الاسلام ، انتهی كلام ابن حزم .

فهل يصدر هذا عن رجل يتذكر بفارسيته ويطلق تصفيته بعصبيتهم وهو مع ذلك يروي في البحارى عن أبي ذر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس من رجل ادعى لغير ابيه وهو يعلم الا كفر ومن ادعى قوما ليس له فيهم نسب فليتبوا مقدمه من النار .

واما انه من عجم «بلبة» اي انه اسباني الاصيل فقد ارتقى الدكتور طه العاجري في كتابة (4) «ابن حزم» صورة اندلسية وانه من اهل اسبانيا الغربيـة من اسرة كانت تقيم في بلبة وكانت تدين بالنصرانية وطلت على نصاريتها بعد الفتح الاسلامي امدا غير قصير حتى اعتنق حزم الاسلام في منتصف القرن الثالث الهجري ويضيف ان اسم حزم كان اكثر شيوعا في الاندلس منه في الشرق كما يلاحظ في هذا الاقليم الذي خرجت منه اسرة ابن حزم وان حاكم لشبونة فيه

188 ص (2)

(3) تاريخ الفكر الاندلسي ص 226 نقلًا عن ج 2 من الفصل ص 115

(4) ابن حزم صورة اندلسية ص 17

(5) تاريخ الفكر الاندلسي ص 76

تعصب ابن حزم لبني أمية

قال الحافظ ابن حجر : النصب بغضن على ابن أبي طالب وتقديم غيره عليه .

ثم نقول لا بني مروان عن تشيع ابن حزم لبني أمية : قد ذكر ابن حزم مروان بن الحكم في معرض حديث فاطمة بنت قيس المخرج في صحيح مسلم والتي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في المطلقة ثلاثة ثلاثة أنها لا ترقى لها ولا سكتي فقال مروان أذ عرض عليه حديثها : « لم يسمع هذا الحديث الا امرأة ... سناخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها . »

قال ابن حزم : (II) « لوان مروان تورع هذا الورع حيث شق عصا المسلمين وخرج على ابن الزبير أمير المؤمنين بلا تأويل ولا تمويه فأخذ بالعصمة التي وجد جميع الناس وأهل الإسلام عليها من القول بأمامته ابن الزبير من أقصى أعمال افريقيا إلى أقصى خراسان حاشا أهل الاردن لكان أولى به وانجلي له في آخرته » .
مروان بن الحكم أبو الاملاك يقدحه ابن حزم بالرورق وشق عصا المسلمين أيقول هذا مت指控 قط لبني أمية فضلا عن رجل يوم سباب عصبية لبني مروان من الامويين ومع ذلك فقد تجاوز ابن حزم شخص مروان تجاوز أهل العلم الذين يقدرون موقع الاصابة والخطأ فيما يصنعون أو يقولون وترك لابن سعد يتمم قصة الورع . لما تبوا (II) بيني أمية فأجلوهم عنها آل الشام وفيهم مروان بن الحكم وبنته عبد الملك بن مروان وأخذوا عليهم اليمان الا يرجعوا إليهم وان قدروا أن يردوا جيش مسلم بن عقبة المري ان يفعلوا فلما استقبلوا مسلم بن عقبة سلموا عليه وجعل يسائلهم عن المدينة واهلها فجعل مروان يخبره ويعرضه عليهم ورجعوا معه مؤازرا له ومعينا له على أمره حتى ظفر بأهل المدينة وجعل عبد الملك بن مروان يدله على عورات أهل المدينة وكيف يزقون ومن أين يدخل عليهم وأين ينزل فلما جاء آخر عبد الملك بن مروان خبر هزيمتهم سجد ، وكتب مسلم بن عقبة بذلك الى يزيد وكتب يشكرون مروان بن الحكم ويذكر معونته اياد ومناصحته وقيامه معه وقدم مروان على يزيد بالشام فشكرا له ذلك يزيد وقربه وأذاته .

قال (6) ابو مروان بن حيان : « وكان مما يزيد في شأنه تشيعه لامرأة بنت أمية ماضيهم وباقיהם بالشرق والأندلس واعتقاده لصحة امامتهم وانحرافه عن سواعده من قريش حتى نسب الى النصب » .

وإذا نحن تتبعنا ما كتب ابن حزم عن بني أمية أو ما له صلة ما او سبب بهم وجدهنا يقول عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان النص (7) التالي : « قد هتك يزيد الاسلام هتكا وانتهب المدينة ثلاثة ، واستغف باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي واقعة الحرة جالت الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثت وبالـت في الروضة بين القبر والمنبر ولم يصل جماعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان فيه أحد حاشا سعيد بن المسيبة » . وإلى جانب هذا يقول ابن تيمية (8) عن يزيد : « إن أحدا لم يكن يسب يزيد على عهد الصحابة والتبعين بل هناك من يعتقده ولـيا ! ومن يسبه ويلعنه وهذا على فيه من الطرفين خلافاً مما أجمع عليه أهل العلم بالایمان فيزيد لم يكن كافرا ولا زنديقا !! وكان فيه شجاعة وكرم !! ولم يكن مظهراً للفواحش كما يعـكـي عنه خصومـه !! بل طائفة من أهل السنة يجيـزـون لـعـنـه ، وطائفة أخرى ترى محـبـته !! وانه مسلم تولـى عـلـى عـهـدـ الصـحـابـةـ وـبـنـيـعـةـ الصحـابـةـ وكانت له محسـنـاتـ وكان مجـتـهـداـ !!!؟؟؟ـ فـيـماـ قـعـلـهـ .

هـذاـ ابنـ تـيمـيـةـ اـمـامـ اـهـلـ السـنـةـ وـسـيـفـهـاـ المـسـلـولـ فـيـ وـجـهـ الـمـبـدـعـةـ وـالـضـارـبـيـنـ وـجـهـ اـلـاسـلـامـ .

اما الذهبي وهو الناقد البصيري من أهل الجرح والتعديل في علماء الحديث ومن أهل السنة والجماعة فإنه يقول : (9)

يزيد بن معاوية كان ناصبياً نظراً غليظاً جلساً يتناول المسكر وي فعل المـنـكـرـ اـفـتـجـعـ دـوـلـتـهـ بـقـتـلـهـ بـقـتـلـ الحـسـينـ الشـهـيدـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـاخـتـتـمـهاـ بـوـقـعـةـ الحـرـةـ وـلـمـ بـيـارـكـ لـهـ فـيـ عـرـمـهـ . (10)

(6) الدخيرة القسم الاول ص 142

(7) الروض الباسم ج 2 ص 36 نقلـاً عن الـذـهـبـيـ فيـ النـبـلـاـ . (8) فيـ رسـالـةـ ابنـ تـيمـيـةـ إـلـىـ جـمـاعـةـ الشـيـخـ علىـ بنـ مـسـافـرـ الـأـمـوـيـ . (9) الروض الباسم نـقـلـاً عنـ الـذـهـبـيـ فيـ النـبـلـاـ جـ 2 صـ 460 .

(11) المـعـلـىـ جـ العـاـشـرـ صـ 299

(12) جـ 5 طـبـقـاتـ ابنـ سـعـدـ صـ 38_39_39_38

وشاهد آخر من ابن حزم نفسه في كتابه الأحكام في فصل عقده لابطال الادعاء ان اجماع أهل المدينة هو الاجماع فقال : (٢٦) «فان موهوا بما روى من عمل قضاة المدينة الذين ادرك مالك فليعلم كل ذي فهم ان النازلة كانت تقع بالمدينة وغيرها فلا يقضى فيها الامير ولا القاضي حتى يخاطب الخليفة بالشام ثم لا ينفأ الا ما خاطبه به ثم قال مستخفا بامرء مؤمني بنى أمية : فاما هي اوامر عبد الملك والوليد وسلميمان ويزيد وهشام والوليد يحسبكم !!

• وهذه لقطة عجيبة وجدناها في ترجمة علي بن ابي طالب في كتاب (٢٧) جوامع السيرة لأبن حزم وهو يزورخه اذ يقول عن على انه ول الخلافة يوم قتل عثمان وتأخر عن بيته قوله «بغير عذر شرعني» .

وما نعلم مؤرخا من أهل السنة من يحرضون على الا يوسموا بالتشييع بله التمعص ببني أمية تجرا ان يقول عن الصحابة الذين لم يبايعوا عليا انهم تخلفوا عن بيته لغير عذر شرعى .

هذا تعبير غريب من رجل يقال عنه انه ناصبى متسيع لبني مروان ، وأسلوب جرى في كتابة التاريخ من رجل قد وزد لملوك بني أمية وكان أحد أعمدتهم في سياسة الاندلس وفي قيادتها وكان رأس بيت مناصر لهم متمسك بحقهم في العرش لطول ما اتصل رجاله بخلفائهم وأقاموا في خدمتهم هكذا يقول مؤلف كتاب تاريخ الفكر الاندلسي عن ابن حزم حين أخرج عن قربطبة على اثر قيام الفتنة البربرية بها .

وهذا مثل آخر عجيب من أموية ابن حزم اذ يقول (٢٨) وهو يوازن بين عصرين بني أمية وعصر بني العباس : « كانت دولتهم - أى بني العباس - أعمى سقطت فيها دواوين العرب الا انهم لم يعلموا سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم بخلاف ما كان بنو أمية يستعملون من لعن على بن أبي طالب رضوان الله عليه ولعن بنية الطاهرين بنى الزهراء وكلهم كان على هذا حاشا عمن بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد رحمة الله .

وقال ابن حزم (٢٩) عن عبد الملك بن مروان نفسه لقد أحسن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير لما ابتدأه الفساق بالقتال في حرم مكة : يزيد ، وعمرو بن سعيد ، والحسين بن نمير ، والحجاج ، ومن بعثه ، ومن كان معهم من جنود السلطان قاتلهم مدافعا عن نفسه .

وانما يبعث الحجاج عبد الملك بن مروان ، وهما تجرا علينا أن يسمى فاسقا يزيد بن معاوية وعبد الملك ابن مروان . والولاية الاموية ، وقال (٣٠) عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك انه كان فاسقا كافرا .

وهذا مثل آخر يقوم شاهدا على تزييف ما يلخص باين حزم من تشيعه زمرة بني أمية ماضيهم وباقيهم بالشرق والأندلس ، فقد عقد ابن حزم نصلا كبيرا في كتابه (٣١) الأحكام في أصول الأحكام يبطل به ترجيح الحديث بعمل أهل المدينة وذكر نسخة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب في الصدقه وهي عند آل عمر بن الخطاب وهي التي اتسخها عمر بن عبد العزيز من سالم بن عبد الله بن عمر حين أمر على المدينة فأمر عماله بالعمل بها وكتب بها الى الوليد بن عبد الملك فأمر الوليد عماله بالعمل بها ثم لم يزل خلفاء بني أمية يأمرن بها قال ابن حزم وقد عمل عمال عثمان قبل ذلك بغير ما في هذه النسخة وعمال على رضوان الله عليه بما جاءت به الرواية عنه وعمال ابن الزبير بعد ذلك وعمال أبي بكر الصديق بغير ذلك قال ابن حزم :

«ما الذي جعل عمال الوليد الظالم ومن بعده من لا يعتقد به حاشا عمر بن عبد العزيز وحده اولى من عمل ابن الزبير وعلى عثمان وابي بكر ثم قال بعد ذلك وأما ما مضى هذا الصدر الكريم - ويريد به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلفاء وعمالهم على الأقاليم - فوالله ما ولى المدينة ولا حكم فيها الا فساق الناس كعمرو بن سعيد والحجاج بن يوسف وطارق وخالد ابن حيان المري وكل عدو لله حاشا ابا بكر محمد بن عمرو بن حزم وابان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز وأولئك كانوا ولاة بني أمية على المدينة وعمالهم .

(٢٩) المعلج ١٠ ص ٤٩٧ جوامع السيرة ص ٣٦٤ .

(٣٠) جوامع السيرة ص ٣٦٤ .

(٣١) ج ٢ ص ١١٣-١١٥ .

(٣٢) ج ٤ ص ٢١٨ .

(٣٣) جوامع السيرة ص ٣٥٥ .

(٣٤) جوامع السيرة ص ٣٦٦ .

خير منه في أشياء فقد عذب بلال في الله تعالى بما لم يعذب أبو بكر وجاله على مالم يجتهد أبو بكر وإن يكن أبو بكر خيرا منه على العموم فوق أشياء غير هذا كثيرة وفي معرض حديث ابن حزم عن طائفة النصيرية وموقفها من فاطمة ابنة رسول الله صل الله عليه وسلم وابنها الحسن والحسين قال (24) : « رضي الله عنهم ولعن مبغضهم »

وسبق لأبي عبد الله ابن الوزير مؤلف كتاب الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم المتوفى سنة 840 آن زيف (25) اتهام ابن حزم بانتعاصه لبني أمية قائلاً إن ابن حزم « يرد على من زمه بالعصبية ويشهد له بالسلوك من الانصاف في طريق سوية » وكذلك جاء في مقدمة كتاب جواجم السيرة لابن حزم التي كتبها صديقنا الدكتور ناصر الدين الأسد مدير جامعة عمان في المملكة الأردنية حالياً والدكتور احسان عباس يان اتهام ابن حزم بالتشييع لبني أمية والانحراف عن سوامم من قريش اسأة كبيرة إلى رجل عاش من طلاب الحق وعشاقه في القول والعمل فليس فيما كتبه ابن حزم ما يشير إلى شيء من التنصب لهم ».

« ابن حزم وموقفه من قاتل على بن أبي طالب » ومع ذلك فقد قال ابن حزم عن عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل على : « لاختلاف (X) بين أحد من الأمة في أن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل علياً رضي الله عنه إلا متأولاً مجتهداً مقدراً أنه على صواب وفي ذلك يقول عمران بن حطان شاعر الصفرية

يا ضربة من تفتق ماراد بها
لا ليبلغ من ذي العرش رضاوانا
انت لا ذكره حينما فاحسبيه
او في البرية عند الله ميزانا
وكذلك قال محمد (26) بن ادريس الشافعى قد
قتله عبد الرحمن بن ملجم متأولا

هذه أمثلة على مدى تشيع ابن حزم لآراء، ينسى أمية بالشرق .
أما بالأندلس فيقول (19) عن محمد المستكفي بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر انه « كان سلطاناً جائراً ظلماً عادياً قليلاً الدين كثير الجهل غير مأمون ولا مثبت »

وعن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الخطيم ابن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية انه (20) كان فاتلاً تهون عليه الدماء، ومع ما نان يظهره من عهده فإنه احتال على أخيه المنذر وواطا عليه حجاماً سمه المبعض الذي فقدم به ، ثم قتل وندبه بالسيف واحداً بعد واحداً وقتل أخيه القاسم تائلاً لهم إلى أن قتل من قتل من غيرهم، ونجمل الحديث عن تشيع ابن حزم لآراء بني أمية بالأندلس وبالشرق جميعاً بما ذكره (21) لسان الدين ابن الخطيب عن ابن حزم وهو يؤرخ هشام بن عبد الرحمن بن معاوية فقال وعده أبو محمد ابن حزم ثالث ثلاثة من العدول في بني أمية خاصة .

والثلاثة الامويون الدول الذين عندهم من ملوك بني أمية وخلفائهم والذين سماهم في كتابه هم عمر ابن عبد العزيز ، ويزيد بن الوليد في الشرق وهشام بن عبد الرحمن هذا في الاندلس على الرغم من أنه كان يذكر ملوك الاندلس الامويين في كتابه طوق العمامة ويترضى عنهم وهو بعد فتنى في زيون الشباب لم يعرف الدنيا كما عرفها بعد أن سلط الشباب وعركته الأيام فعرفته هي كذلك .

قال (22) لسان الدين ابن الخطيب :
والإمام أبو محمد في التجريح والتعديل حجة على قومه وسوق الملك لا تذكر فيها هذه البضائع !
وكيف تستسيغ اتهام ابن حزم بالتشييع لبني أمية وهو يقول (23) عن على ابْنِ طَالِبٍ بِالنَّسْبَةِ لِأَفْضَلِيَّةِ ابْنِ بَكْرٍ عَلَيْهِ أَنْ أَبَا بَكْرَ لَيْسَ خَيْرُ النَّاسِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَقَدْ يَكُونُ الْمَرءُ خَيْرًا فِي شَيْءٍ، مَا مِنْ آخِرٍ

(19) التقرير لحد المنطق والمدخل إليه ص 199

(20) اعمال الاعلام لابن الخطيب ص 29 .

(21) نفس المصدر ص 14 .

(22) اعمال الاعلام ص 14 .

(23) ج العادى عشر من المجل ص 286 .

(24) الفصل ج 4 ص 188

(25) الروض الباسم ج 2 ص 36

(26) تلخيص الجير ج 2 ص 348

ـ ج العاشر من المجل ص 484 .

في رسالته : «التلخيص لوجوه التخلص » لم يعد منها بعض عثمان أو أمير من أمراء، بني أمية بل ولا يغضّن أبي بكر أو عمر بل جعل (31) منها ترك الصلاة وترك الزكاة وبغضّ على بن أبي طالب .

وأخلاصاً مني المعنـم ، وارضاه لضميري . وتحصيحاً لما وافت انخدما تثير من علمائنا في صدر التاريخ العربي فانني ذاكر هنا حقيقته يتبعها اهل العنصر بالتجزء والتعديل من علمائنا اقدماء واتحددين وهي ما كان نسياسة في العصر الاموي والعباسي وللاتجاه الحزبي الصارم في تلا العصررين من الان الانير في نفوس تثير من العتماء الصالحين وتثير من رجال النقد في تخطي حفاظ التاريخ وواقع الحياة الاسلامية هرباً بأنفسهم ان يرسموا بموالاته نعل او لأهل بيته وكان وقع الاتهام بانتشاعر فيها في بلا العصررين معاً لا نلتهم بموالاته للاخوان المسلمين أيام محنتهم في البلاد العربية او بالاتهام للشيوخية او الاتساع إليها في بلد كاميكي او الاتهام بموالاته اسرائيل في بلاد الجامعة العربية .

وعلما من رجال الشريعة الاسلامية السابقين بأن الشريعة تتبع لهم اذا خافوا على أنفسهم الهلاك أن يتجنّبوا ما خافوه على أنفسهم فقد تجنب هؤلاء الإعلان عن أنفسهم بموالاته على وأهل بيته وحملهم هذا الشعور أن يتحرّوا الرجال الذين يحملون الحديث ، أن يكون أحدهم ملوثاً بموالاته لهما وبلغ تعريهم هذا منتهاه حين أصبح الاتهام بموالاته جرحاً في الرجل يرخص به الحديث وتضيق به روايته وقد يطرح من أجله الحديث نفسه فلا يكون قابلاً لللاحتجاج به عند عامة أهل الحديث .

وحسبك مثلاً واحداً على مدى الذعر الذي كان يختلج النفوس في هذين العصررين أن تمرّ مرا على كتاب مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني الاموي القمح صاحب كتاب الاغانى لتعرف أية جريمة نكراً يرتكبها أمرٌ في حق نفسه اذا هو والي طالبياً او عرف به .

ولم يستطع شيخ الاسلام ابن تيمية وهو الاموي

قال الحافظ (27) ابن حجر : هذا كلام لاخلاف في بطلانه وهو مبالغة من ابن حزم الا اذا حمل على أنه كان كذلك عند نفسه والا فلم يكن ابن ملجم قط من اهل الاجتهاد ولا كاد وانما كان من جملة الخوارج اهـ

وابن حزم لا ينتظر الى الخوارج نظر فقهها، المذاهب الاسلامية اليها بل لا يرى (28) ان الخوارج فساق ولا غيرهم من اصحاب المذاهب الاسلامية المخالفه لذهب اهل السنة ، ولا كل ذي رأي يعتقد يستدل عليه من كتاب الله او سنته رسول الله او برهان صحيح ، فهو يرى ان من قام عليه الحجة بحديث لامعارض له او آية لامعارض لها او برهان ضروري فتتمادي على مذهبه او قوله المخالف للحق او تناقض فاحتاج في مكان ما لا يصح مثله في غير ذلك المكان وبنى عليه ذلك فتتمادي على قوله الفاسد في فتيا في شيء من الفقه او في اعتقاد فهو فاسق وكل ذلك سوا .

ومع كل هذا فقد ذكر (29) عبد الرحمن بن ملجم في كتابه الفصل في معرض الحديث عن طائفه النصيرية وقال لعنة الله على ابن ملجم

وما هنا شيء آخر لا يذهب إليه أموي قط الا أن تكون أمويته في جانب وهو في الجانب الآخر وهو المفضلة بين عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب واحتمال أن يكون على أفضل وعدم لروم من يفضل علينا على عثمان ، فقد قال ابن حزم (30)

«والذى يقع فى نفوسنا دون أن نقطع به ولا نخطئ من خالفنا فى ذلك فهو أن عثمان أفضل من على». ثم استدل لما يقع فى نفسه دون أن يقطع به بأن النبي صلى الله عليه وسلم يأى عثمان بيده الشريفة ثانية عن يمين عثمان وألحقه بالذين شهدوا بدرأ بأجره التام وسممه وكان قد تخلف عنها لتمرير زوجته ابنة النبي صلى الله عليه وسلم ثم كانت له فتوحات عظيمة في الاسلام لم تكن لعلى وسيرة في الاسلام هادئة !! لم تسفك فيها دماً، بسببه »

ولما كان ابن حزم يعدد كباقي الذنوب والمعاصي

(27) نفس المصدود ج 9 ص

(28) ج 5 من الاحكام ص 73

(29) الفصل ج 4 ص 188

(30) الملل والنحل ج 4 ص 147

(31) ص 143 من مجموعة الرد على ابن التغريلة اليهـ ودى

(32) منهاج السنة ج 4 ص 155

قد عمش من كثرة الادمان على البكاء .
ومع هذا ينقل (35) انذهبى عن احمد العجلى ان
منصورا كان فيه قليل من التشيع .

وفي هذين العصرین نشأ علم الحديث وترعرع ثم
اكتهل حيث انتهى الى غايتها واعجب لهذا التعبير من
ابن حزم اذ يقول (36) مؤرخا للمامون :
وكان يرى حب آل البيت ولا يعطى من أعرض
عنهم او انتقصهم فقيل كان يتسبّع .

وهذا حديث الذهبى عن هذا الموضوع مختصر
جامع موجز ولو انه مختص من نفسه اذ يقول : (37)
ان في الخلفاء وآبائهم واهليهم قوماً أعرض أهل
الجرح والتعديل عن كشف حالهم خوفاً من السيف
والضرب ، وما زال هذا في كل دولة قائمة يصف
المؤرخ محسنة ويغضّن عن مساوتها هذا اذا كان
المؤرخ ذا دين وخير فان كان مداعماً مداعناً فربما
اطرح مساوى، الكبير ومناته في هيئة المدح والمكارم
والعظمة .

الناصر الكتاني
استاذ محاضر بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس
وأستاذ دار الحديث الحسينية بالرباط

النزعه وحاملاً لوانها الا أن يصرخ (32) بأن أهل
الصحيح أى الذين التزموا اخراج الاحاديث الصحيحة
في كتبهم لم يخرجوا شيئاً من حديث ابن عباس
عن على .

ومع ذلك فقد اشتغلت كتب الحديث من روایة على
على خمسة وستة وثلاثين حديثاً يصح منها نحو
خمسين حديثاً حسب تصريح ابن حزم (33) .

كذلك صرخ (34) الذهبى امام اهل الحديث ففي
نقد الرجال ان جعفر الصادق لم يحتاج به البخارى مع
العلم ان البخارى احتاج بمروران بن الحكم وهو من
تعلمون وبعمران بن حطان وهو المضفى على عبد الرحمن
ابن ملجم صفة الجهاد والقداسة لقتله على بن أبي طالب.
وكان جعفر يقول للناس سلوني قبل ان تقدوني فانه
لا يحدكم أحد بعدى بمثل حديثي .

وهذا مثل عجيب للاتهام بالتشيع فن تلك العصور
يقصه الذهبى : فقد كان منصور بن المعتمر أحد العباد
الثقة من رجال الحديث الاعلام ييكي الليل كله فإذا
أصبح كحل عينيه وبرق شفتيه ودهن رأسه حتى لا
يظهر اثر قيام الليل على وجهه فيعرف بعبادته فتقول
له أمه أقتلت قتيلاً يابني فيقول أنا أعلم بما صنعت
نفسى ، وصام منصور اربعين سنة وقام ليها وكان

32 منهاج السنة ج 4 ص 100 .

(33) اسماء الصحابة والرواة وما لكل واحد من العدد لابن حزم ص 276

(34) تذكرة الحفاظ ج 1 ص 157

(35) تذكرة الحفاظ ج 1 ص 135

(36) جوامع السيرة ص 370

(37) الاعلان بالتوبیغ للسخاوي ص 66 .